.....

أوَّلًا: نِسْبَةُ التناقِضِ؛ بمَعْنى أن يكونَ الشيئانِ نقِيضَينِ، والنَّقِيضانِ: هما اللَّذانِ لا يجتَمعانِ ولا يرتَفِعَانِ، بمعْنَى مُحالٌ اجتماعُهُما ومُحالٌ ارتِفاعُهُما، مثال ذَلِك: الحَرَكَةُ والسُّكون، فهذانِ نقِيضَانِ لا يجتمعانِ، بمعْنَى: لا يمكِنُ أن يكونَ الشَّيءُ مُتَحَرِّكًا ساكِنًا؛ لأنَّه إذا كان متحركًا فليسَ بساكِنٍ، وإن كان ساكِنًا فليسَ بمتَحَرِّكٍ، فلا يمكِنُ أن يَجْتَمِعا ولا يُمْكِن يَرْتَفِعَا، والشَّيءُ لا يكونُ مَوْجُودًا ومَعْدُومًا؛ لا بُدَّ أن يكون إمَّا مَوْجُودًا وإما مَعْدُومًا، كذَلِك مَثَلًا الحَيَاة والمَوْتُ بالنسبَةِ للإنسانِ حَيَاةٌ ومَوْتٌ، نَقِيضانِ لا يمكِنُ أن يجتَمِعَا.

ثانيًا: نِسْبَةُ الضِّدَّينَ؛ أي أنَّ هذا ضِدٌّ هذا، مثالُ ذَلِك: السَّوادُ والبَياضُ، فالسَّوادُ والبياضُ ضِدَّانِ لا يمكن أن تكُونَ النُّقْطَةُ بيضاءَ سودَاءَ في آنٍ واحدٍ، لكِنَّهما قد يَرْتَفِعانِ بمَعْنى: أنه يمْكِنُ يصيرُ الشَّيءُ لا أسودَ ولا أبيضَ، فيكونُ أحْمَرَ مثلًا، فالضِّدانِ لا يجتَمِعانِ معًا وقد يرتَفِعَانِ معًا، ومعْنَى يرتَفِعانِ يعني: يمكنُ أن يرتَفِعَا، ومعْنَى لا يجتمعانِ يعني: لا يمكن أن يجتَمِعَا.

إذَنْ: يجِبُ أن تُفَرِّقَ عندَمَا تقول: السوادُ ضِدُّ البَياضِ أو نَقِيضُ البَياضِ، فلو قُلنا: نَقِيضُ البياضِ كان ذَلِك خَطأً، ولو قُلْنا: الوُجودُ ضدُّ العَدَمِ، هذا خطأٌ، والصَّوابُ أن نقولَ: الوجودُ نَقِيضُ العَدَمِ.

ثالثًا: نسْبَةُ الخِلافَيْنِ؛ بمَعْنَى أن يُقالَ للشَّيْئَيْن: هَذانِ خِلافانِ، فالخِلَافانِ مُتغايِرَانِ، يمكن أن يجْتَمِعَا ويمكن أن يرْتَفِعَا، مثالُ ذَلِك: البياضُ والحَرَكَةُ، فالبياضُ غيرُ الحرَكَةِ، والبَياضُ لونٌ، لونُ الشَّيءِ أبيضُ، أما الحركَة فَفِعْلٌ، فالحركَةُ غيرُ البياضِ وهي مخالِفَةٌ له، لكنَّهما قَد يجتمعانِ فيكونُ الشَّيءُ أبيضَ متَحَرِّكًا، وقَد يرْتَفِعانِ فيكونُ

لَا مَوْجُودَ وَلَا مَعْدُومَ، وَلَا حَيَّ وَلَا مَيِّتَ، وَلَا عَالِمَ وَلَا جَاهِلَ؛ لِأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ إِذَا وَصَفُوهُ بِالإِثْبَات شَبَّهُوهُ بِالمَوْجُودَاتِ، وَإِذَا وَصَفُوهُ بِالنَّفْي شَبَّهُوهُ بِالمَعْدُوماتِ فَسُلِبُوا النَّقِيضَيْنِ، وَهَذَا مُمْتَنع فِي بَدَاهَةِ الْعُقُولِ[١]، وَحَرَّفُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ مِن الْكِتَابِ وَمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ فَوَقَعُوا فِي شَرٍّ مِمَّا فَرُّوا مِنْهُ فَإِنَّهُمْ شَبَّهُوهُ بِالْمُمْتَنعاتِ إِذْ سَلْبُ النَّقِيضَيْنِ كَجَمْعِ النَّقِيضَيْنِ كِلَاهُمَا مِن الْمُمْتَنعاتِ[٢].

الشَّيءُ ساكنًا أسودَ، فهو ليس بأبيضَ ولا بمُتَحَرِّكٍ، إِذَنْ فالخلافانِ متغايرانِ، لكنَّهُما يجتمعانِ ويرتفعانِ.

رابعًا: نِسْبَةُ المِثْلَينِ، مثلُ الإنسانِ يُنْسَبُ إلى البَشرِيَّة، فكلُّ إنسانٍ بَشَرٌ، وكلُّ بشَرٍ فهو إنسانٌ، فالنِّسبة هُنا هِي المماثَلَةُ.

[١] يعني: ببَدَاهَةِ العقولِ: إنه بمجَرَّدِ ما يتَصَوَّرُ الإنسانُ هذا الكلامَ يجِدُ أنه باطِلٌ ومُمْتَنِعٌ ببداهَةِ العُقولِ.

[٢] «**وَحَرَّفُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ مِن الْكِتَابِ، وَمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ فَوَقَعُوا فِي شَرٍّ مِمَّا فَرُّوا مِنْهُ فَإِنَّهُمْ شَبَّهُوهُ بِالْمُمْتَنعاتِ إِذْ سَلْبُ النَّقِيضَيْنِ كَجَمْعِ النَّقِيضَيْنِ كِلَاهُمَا مِن الْمُمْتَنعاتِ**» نقولُ لـهؤُلاءِ: أنتُم وقَعْتُمْ في شرٍّ مما فَرَرْتُم منه؛ لأنَّكم تقولون: إن قُلْتُم إن اللهَ حيٌّ شبَّهْتُموهُ بالمَوْجُودات، وإن قُلتُم إن الله ميِّتٌ شبَّهْتُموه بالمَعْدُوماتِ، إِذَنْ ماذا يقُولُونَ؟

يقُولُونَ: لا مَوْجُودٌ ولا مَعْدُومٌ، ولا حيٌّ ولا ميِّتٌ، ولا عالِمٌ ولا جاهِلٌ، ولا بصيرٌ ولا أعْمَى، ولا سمِيعٌ ولا أصَمُّ، ولا فاعِلٌ، فينْفُونَ كل هذا.

ونقـولُ لـهم: شبَّهْتُمُـوهُ بـالشَّيءِ المُمْتَنِعِ، وتَشْبِيـهُ الشَّيءِ بالمُمْتَنِـعِ يجعَلُـهُ مُمْتَنـعًا،

وَقَدْ عُلِمَ بِالِاضْطِرَارِ[١] .....

فأنتُمُ وقَعْتُمْ في شَرٍّ مِمَّا فَرَرْتُمْ منه، وأيضًا سَلَبْتُم النَّقِيضَيْن، وسلبُ النَّقِيضَيْن كجَمْعِ النَّقِيضَيْنِ، كلاهما مُمْتَنِعٌ.

[١] نقولُ بالاضْطِرارِ، وما مَعْنى الاضطرارِ؟

العلماءُ يقُولُونَ عن العِلْمِ إنه نوعان:

- عِلْم نَظَرِيٌّ، فإذا كان العِلْم يحتاجُ إلى نظَرٍ واستِدلالٍ سُمِّي عِلْمًا نظَرِيًّا.
- وعِلْمٌ اضطِرَارِيٌّ، وهو الَّذي لا يحتاجُ إلى نظَرٍ واستِدْلالٍ، ويسُمَّى عِلْمًا ضروريًّا أو اضْطِراريًّا.

مثلًا إذا قالَ قائِلٌ: هل الوِترُ واجبٌ أو سُنَّة، وعَلِمْنَا بأنه واجِبٌ أو سُنَّةٌ، فهذا عِلْم نظَرِيٌّ؛ لأنَّه يحتاجُ تَتَبُّعًا للأدِلَّةِ والنظَرِ فيها ولا يَعْرِفُه إلا أهلُ العِلْمِ، لكن علِمْنَا بأن الوُجودَ أو المَوْجُودَ لَا بُدَّ له من مُوجِدٍ، هو علمٌ ضَرُورِيٌّ، كَما قِيل لأعرابِيٍّ بدويٍّ: بمَ عَرَفْتَ ربَّك؟ فقال: الأثَرُ يدُلُّ على المسِيرِ، والبَعْرَةُ تدُلُّ على البَعِيرِ، فسَماءٌ ذاتُ أبْراجٍ، وأرضٌ ذاتُ فِجاجٍ، وبِحارٌ ذاتُ أمْواجٍ، ألا تَدُلُّ على السميعِ البصير؟![١].

فهذا الرَّجلُ استَدَّلَ بشيءٍ وهو يعْلَمُ ببداهَةِ العقولِ أن السَّمواتِ والأرضَ، والبِحارَ والأشجارَ والأنَّهار، وهذا النظامَ البديعَ، وهذا التآلُفَ بين أجزائِهِ مع اختلافِها يدُلُّ على أن له مُنظِّمًا ومُوجِدًا.

إِذَنْ هذا معلومٌ بالضَّرورَةِ أنه لَا بُدَّ له مِنْ مُوجِدٍ واجبٍ بذاتِهِ.

---

(١) انظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٥/ ٢٨٩)، ولوامع الأنوار البهية (١/ ٢٧٢).

أَنَّ الْوُجُودَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُوجِدٍ وَاجِبٍ بِذَاتِهِ[١] غَنِيٍّ عَمَّا سِوَاهُ[٢]، قَدِيمٍ أَزَلِيٍّ[٣]، ..

[١] واجبٌ بذاتِهِ: الواجبُ هنا غيرُ الواجِبِ في الفِقْهِ، فالواجِبُ في الفقْهِ: هو الَّذي يلْزَمُ فِعْلُه، والواجبُ هنا هو الَّذي لا يُمْكِنُ عَدَمُه، فمعْنَى (واجبٌ بذاتِهِ) أي: لا يمْكِنُ عَدَمُه، فالربّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يمكن أن يكونَ مَعْدُومًا، فهو أَزَلِيٌّ أَبَدِيٌّ.

[٢] قوله: «غَنِيٍّ عَمَّا سِوَاهُ» لأنَّه لو احتاجَ إلى غيرِهِ لم يكُنْ قائمًا بالخلْقِ على وجه الكَمالِ.

[٣] «قَدِيمٍ أَزَلِيٍّ»، كلمة (قَدِيم) هنا من الأمرِ الَّذي يُنْكَرُ على المُؤَلِّفِ؛ لأنَّ المُؤَلِّف نفسَه مِمَّنْ ينْكِرُ هذا الوصفَ، لكنَّه قال ذلكَ؛ لأنَّه يتكَلَّمُ مع فلاسِفَةٍ، والفلاسِفَةُ يصِفُونَ اللهَ بالقَديمِ، يعني: لا يعْرِفُون اللهَ إلا بالقَدِيمِ، فهو يتكَلَّمُ معهم بلُغتِهِمْ، وإلا فمِنَ المعلومِ أن كلِمَةَ قديمٍ ليست من أسْماءِ الله، ولا من صِفَاتِ الله، ولهذا أرْدَفَها بقوله: أَزَلِيٌّ.

وما مَعْنى (الأَزَلِيّ)؟ الأَزَلِيُّ: هو الَّذي لم يَزَلْ مَوْجُودًا، ويقابِلُ الأَزَلِيَّ الأَبَدِيُّ، فَالأبدِيُّ: هو الَّذي لا يزال مَوْجُودًا، فالأبدِيُّ الدَّوامِ بالنِّسبةِ للمستَقْبَلِ، والأزليُّ الدَّوامِ بالنِّسبة للماضِي.

ومن أجل هذا أردَفَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ (القديمَ) بـ(الأزلي)، والَّذي يعني: لا بِدايَةَ له لم يَزَلْ مَوْجُودًا.

وإنما وصَفَهُ بالأزليِّ؛ لأنَّ القَدِيمَ في اللُّغة العربية ما تقَدَّمَ غيرُهُ وإن لم يكُنْ أَزَلِيًّا، وانْظُر إلى قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس:٣٩].

لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الحُدُوثُ وَلَا العَدَمُ[١]، .....

ومعْنَى (العرجونِ القَدِيمِ) أي: السَّابِقِ على غَيرِهِ، وإن كان ليسَ أزَلِيًّا.

فالحاصِلُ أن نقولَ: إن القَديمَ الأزَلِيَّ ليس مِن أسْماءِ اللهِ ولا مِن صِفَاتِه، لكن المُؤَلِّفَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تكَلَّمَ بها؛ لأنَّه يخاطِبُ الفلاسفَةَ الَّذين يَصفونَهُ بهذه الصِّفَةِ.

والمُؤَلِّف خرَجَ عن الأمرِ الَّذي يُتَوَهَّمُ من كلِمَةِ (قديمٍ) بقوله: «أزلي» حتى لا يُظنَّ أن القديمَ ما تقدَّم غيرَهُ وإن كان حادِثًا، بل القديمُ هنا هو الأزَلِيُّ الَّذي لا أوَّلَ لوجودِهِ.

وقد ذَكَرَ اللهُ بَدَلًا عن هاتَيْن الكلمَتَيْن كلمةً واحِدَةً أفضلَ منْهُما وأقومَ، وهي قولُه تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ [الحديد:٣]، فَهي تعطي مَعْنى غيرِ الأسبقِيَّةِ، والمَعْنى الَّذي تعْطِيهِ هو أنَّ كلَّ شيءٍ يعودُ إلَيْه، فهو أوَّلٌ سابقٌ على غيرِه، وهو أوَّلٌ تَؤُولُ الأشياءُ إلَيْه وتَرْجِعُ.

وبهذا المفهومِ قلنا: لو أنَّ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تركَ هاتَيْن الكلمَتَيْن لكانَ أحسنَ، لكِنْ عذْرُ المُؤَلِّف أنه يتكَلَّمُ بلسان قومٍ أَلِفُوا هاتَيْن الكلمتَيْن، ولا بأسَ أن يُخاطَبَ النَّاسُ باصطِلاحِهِمْ إذا تبَيَّنَ الحقُّ وأُزيلَ الوهْمُ، وهنا المُؤَلِّف أزالَ هذا الوَهْم بقوله: «**أَزَلِيٌّ؛ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الحُدُوثُ**».

[١] بهذه المناسبة أودُّ أن أبَيِّنَ أن كلامَ الأصولِيِّينِ أو الَّذين يتكلَّمُونَ في هذا الباب يتكلَّمون بلسانِ المناطِقَةِ أحيانًا، فيُفَسِّرُونَ الواجبَ بأنَّه: ما لَا يمْكِنُ عدُمُه، والمستَحِيلَ: بأنَّه ما لا يمكنُ وجُودُه، والجائزَ: بأنَّه ما يكونُ جائزَ الوُجودِ والعَدَمِ، وليس هو بالجائِزِ الَّذي يُفعَلُ أو يُترَك كما هُو في الفِقْه.

فَوَصَفُوهُ بِمَا يَمْتَنِعُ وُجُودُهُ[١]، فَضْلًا عَنِ الْوُجُوبِ أَو الْوُجُودِ أَو الْقِدَمِ.

[١] قوله: «فَوَصَفُوهُ بِمَا يَمْتَنِعُ وُجُودُهُ» أيْ وصْفَهُ الغلاةُ بما يمْتَنِعُ وَجودُهِ، وهُو سلْبُ النَّقِيضين عنْه، حيث قالُوا عنه: لا مَوْجُودٌ، ولا مَعْدُومٌ، لا حَيٌّ ولا مَيِّتٌ، لا عالِمٌ ولا جاهِلٌ، ومنْها كلُّ هذا.

لكن المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ اكتفى بهذا فقط؛ لأنَّ الوُجودَ أعَمُّ من الحَيَاةِ والمَوْت، فالوجودُ ينْطَبِقُ على الشَّيء وإنْ لم يكُنْ حَيًّا ولا ميِّتًا، مثلَ الأحْجَار، وقد يُوصفُ بالحَيَاة والمَوْتِ وليس له رُوحٌ كالأشْجارِ، وقد يُوصفُ بالحَيَاةِ والمَوْتِ وله رُوحٌ مثلُ بَنِي آدمَ والحيوان.

وقد يكون أيضًا لا سَمِيعًا ولا أصَمَّ لا بَصيرًا، لا فاعِلًا ولا غيرَ فاعِلٍ، يُمْكِن يكونُ هذا أيضًا، لكنْ كلُّ هذه الأوْصافِ نقول: إذا امتَنَعَ وجودُهُ فضلًا عن الوجوبِ، فالله واجبُ الوُجودِ؛ لأنَّه يمتنع عَدَمُه أزلًا وأبدًا.

وهم جعلوه لا مَوْجُودٌ ولا مَعْدُومٌ، فنَفْوا عنْه أن يكونَ واجِبَ الوُجودِ، بل زعموا أنه متَّصِفٌ بما يمْتَنِعُ ببداهَةِ العقولِ، فَضْلًا عن الوجوبِ أو الوُجودِ.

والَّذين حادُوا وزَاغُوا عن سبيلِ الرُّسُلِ وأتباعِهِمْ منْقَسِمُونَ إلى ثلاث فرقٍ: هذه الفِرْقُ الأُولَى وهُمُ الغُلاةُ الَّذين يسْلُبونَ عنه النَّقِيضين: الوُجودَ والعَدَم، الحَيَاةَ والمَوْتَ، العِلْمَ والجهلَ، السَّمعَ والصَّمَم، ما هِي شُبْهَتهم؟

يقُولُونَ: إن أثْبَتْنَا له الصِّفَةَ شبَّهنَاهُ بالمَوْجُوداتِ، وإن نَفَيْنَا عنْه الصفَةَ شبَّهنَاهُ بالمَعْدُوماتِ، إذَنْ فلا نُثْبِتُ ولا نَنفي، فقَالُوا: لا مَوْجُودٌ ولا غيرُ مَوْجُودٍ، لا مَعْدُومٌ ولا غيرُ مَعْدُوم، وهذه العبارةُ مثلُ الَّتي قبْلهَا لا تختلفُ؛ لأنَّ لا مَوْجُود ولا غيرَ مَوْجُود، هو لا مَوْجُودٌ ولا مَعْدُومٌ؛ لأنَّ غيرَ المَوْجُود هو المَعْدُومُ، لكنَّه اختلافُ تعبيرٍ.

وَقَارَبَهُمْ طَائِفَةٌ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ وَأَتْبَاعَهُمْ فَوَصَفُوهُ بِالسُّلُوبِ وَالْإِضَافَاتِ دُونَ صِفَاتِ الإِثْبَاتِ[١]، وَجَعَلُوهُ هُوَ الْوُجُودَ الْمُطْلَقَ بِشَرْطِ الْإِطْلَاقِ[٢].

---

[١] يقول المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قارَبَ طائفةٌ من الفلاسِفَةِ وأتباعِهِمْ هؤُلاءِ الغُلاةَ الَّذين أنكَرُوا أن يكونَ مَوْجُودًا أو مَعْدُومًا، فوصَفوه بالسُّلوب والإِضَافاتِ دُونَ صِفَاتِ الإِثْبَاتِ، أي: قالوا: إنَّ اللهَ تعالى موصوفٌ بالسَّلْبِ، وصِفَاتُهُ إمَّا سلْبِيَّةٌ أو إضافِيَّةٌ، وأما أن تكونَ ثُبوتيَّةً وجودِيَّةً فلا، و(السُّلُوبُ) جمع سَلْب، وهو: النَّفْي، يعني: إنَّما يُوصَفُ بالنَّفْي فقَطْ، وإذا وجَدْتَ صفَةً مثْبَتَةً لله فهي على سبيلِ الإضافَةِ لَا عَلى سبيلِ الإثْبَات والوُجودِ.

مثلًا يقُولُونَ في صفَةِ السَّمعِ: لا نقولُ بأنَّ الله له سَمْعٌ، ولكِنْ نقول: إنَّ الله ليسَ بأصَمَّ.

فإن أثبَتُوا أنَّ له سَمْعًا لم يجعَلُوه صِفَةً ثُبوتيَّةً، بل إضافيَّةً، فمَعْنى (السميع): أنَّه خَلَقَ السَّمعَ في غيرِهِ، في الإِنسَانِ أو في الحيوان وما أشبه ذَلِك.

فهم إِذَنْ يقُولُونَ: ليس لله صفة ثبوتيَّة أبدًا، فصفاتُهُ:

- إمَّا سلبيَّة: يعني: منْفِيَّة.
- وإمَّا إضافيَّة: بمعْنَى أن إثْبَاتَها له بالإضافَةِ إلى غَيرِهِ.

[٢] قوله: «جَعَلُوهُ» أي: الله «هُوَ الْوُجُودَ الْمُطْلَقَ بِشَرْطِ الْإِطْلَاقِ» يعني: ليسَ مُقيَّدًا بصفَةٍ، لكنَّ الطائفَةَ الأُولى يقُولُونَ: ليس مُقَيدًا بصفةٍ لا ثُبوتِيَّةٍ ولا سَلْبِيَّةٍ، وهؤُلاءِ يقُولُونَ: ليس مُقَيَّدًا بصفَةٍ ثبوتِيَّةٍ، هذا هو الفرقُ بين الطائفَتَيْنِ، وهذا طبعًا أمْرُ الغلاة؛ لا يسْلبونَ عنه، بل يقُولُونَ: لا مَوْجُودٌ ولا مَعْدُومٌ، ولا سَمِيعٌ ولا أصمُّ،

وَقَدْ عُلِمَ بِصَرِيحِ الْعَقْلِ[١] أَنَّ هَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الذِّهْنِ لَا فِيمَا خَرَجَ عَنْهُ مِن المَوْجُودَاتِ[٢].

ولا عَالِـمٌ ولا جاهِلٌ، ولا حيٌّ ولا ميِّتٌ، لكن هؤُلاءِ يقُولُونَ: ليس مَعْدُومًا، ليس بأصمَّ، ليس بجاهِلٍ، وغيرها من الصِّفَات السَّلْبية، يُقرِّونَ بها، أما الصِّفَات الثبوتيَّة فإذا أقرُّوا بها جعلوهَا مضافَةً، يعني: باعتبار المَخْلُوق لا باعتبارِ أنها صِفتُهُ، فيقُولُونَ في السَّمعِ: إذا أثبتْنَاهُ فالمَعْنى أنه خالِق السَّمْع في غيرِه، أما الصِّفَة الثبوتيَّة فلا.

وكونُ الله مَوْجُودًا لكِنَّ وجودَهُ مُطلَقٌ، يعني: غير مُقيَّدٍ بصِفَةٍ ثُبوتيَّة، ولا صفَةٍ سلْبيَّةٍ.

[١] قولُه: «بِصَرِيحِ الْعَقْلِ» الَّذي ما خالَطَتْهُ الشُّبهاتُ ولا الشَّهواتُ.

ودائمًا ما نسمَعُ كلمَةَ: (صحِيح النَّقْل) و(صَرِيح العَقْل)، فما المقصودُ؟

- صحيحُ النَّقلِ: معنَاهُ النقلُ الصحِيحُ الثابِتُ.
- صَريحُ العَقْلِ: معناه الخالصُ من الشُّبهاتِ والشَّهواتِ، فالعقل الصَّريحُ هو الَّذي ليس فيه شُبْهَةٌ، ولا عنده إرادَةٌ سَيِّئَةٌ، وبعضهم قال: العَقْلُ ذِهْن الإِنسَان؛ لأنَّ ذِهْنَ الإِنسَان أحيانًا يعْتَرِيهِ الشُّبُهاتُ لا يتبَيَّنُ له الحقُّ، وأحيانًا يعْتريهِ شَهواتٌ لا يُريدُ الحَقَّ، يشْتَهِي غيرَ الحَقِّ، ولكنَّ الصريحَ إِذَنْ هو السَّالِمُ من الشُّبهاتِ والشَّهواتِ، بمعْنَى أنه عالِم؛ يعْنِي: أنه عَقْلٌ مبْنِيٌّ على عِلْمٍ وعلى إرادَةٍ حسَنَةٍ.

[٢] إذا سأَلَ سائلٌ: هل يُمكِنُ أن يُوجَدَ شيءٌ مُطْلَقٌ من الصِّفَةِ ليس له صفَةٌ أبدًا؟

فالجوَاب: لا يُمكـن أبـدًا، فـلا بُدَّ إذا وُجِدَ أن يكـون طَويلًا أو قصيرًا، أو مُلَـونًا

وَجَعَلُوا الصِّفَةَ هِيَ المَوْصُوفَ[١]، فَجَعَلُوا الْعِلْمَ عَيْنَ الْعَالِمِ مُكَابَرَةً لِلْقَضَايَا الْبَدِيهَاتِ.

وَجَعَلُوا هَذِهِ الصِّفَةَ هِيَ الْأُخْرَى[٢]، .....

أو غيرَ ملَوَّنٍ، أو ليِّنًا أو يابِسًا؛ فالمهم لَا بُدَّ أن يكونَ له صِفَةٌ، أمَّا أن يُوجَدَ شيءٌ ليس له صِفَةٌ فهذا مُمْتنع، لكن قد تَتَخَيَّلُ في ذهْنِكَ أنَّ شيئًا يُوجَدُ ولا صِفَةَ له، مثل الَّذي يحلُم باللَّيل أنه يُوجَدُ شَيءٌ ليس له صِفَةٌ، ولكنَّه لا يفْرِضُهُ الذِّهْنُ، وهو مَوْجُودٌ في الخارجِ؟ هو ليس بمَوْجُودٍ، كما أنَّك تَفْرِضُ إنسانًا يمْشي على رأسِه من القَصيمِ إلى مكَّةَ، يمكن أن تفْرِضَ هذا، لكنَّه لا يوجَدُ في الوَاقعِ؟!

ويُمْكِن أن تَفْرِضَ أن نملَةً تقْتَلِعُ جبلًا من مكانِهِ وتمْشِي به، لكن لا يمكن أن يوجَدَ في الخارجِ.

[١] قوله: «وَجَعَلُوا الصِّفَةَ هِيَ المَوْصُوفَ»، أي: جعلوا صِفَةَ الشَّيءِ هي الشَّيءَ، فجَعلوا العِلمَ عَينَ العالِمِ، وهذا لا يصِحُّ.

فإذا قيلَ: فلانٌ عندَهُ مالٌ كَثِيرٌ فهو غَنِيٌّ، فالغِنَى صِفَةٌ، لكنَّها ليسَتْ هي نفسَ الموصُوفِ، ولهذا نَقول: ذو غِنًى؛ أي: صاحبُ غِنًى، والمضاف غيرُ المضاف إلَيْه، فهُمْ:

أوَّلًا: جَعَلُوا الإله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو المَوْجُودَ المُطلَقَ بشرطِ الإطلاق.

ثانيًا: «جَعَلُوا الْعِلْمَ عَيْنَ الْعَالِمِ» وهذا «مُكَابَرَةً لِلْقَضَايَا الْبَدِيهَاتِ» الَّتي تُعْلمُ بمسائلِ العَقلِ بدون أي تكلُّف.

[٢] ثالثًا: وجَعَلُوا هذه الصِّفة -أيَّ صِفَةٍ من صِفَاتِ الله- هي الأخرى.